

التنظيمات الأساسية في عهد السلطنة العثمانية

Mochamad Hasyim

Universitas Yudharta Pasuruan

hasyim@yudharta.ac.id

Abstract: *The condition of the Islamic state (Islamic world) was bad after the fall of the Abbasid state. Then followed by three major countries. The Osmanli Devleti was the original center of Asia Minor on the northwestern tip of the Islamic world, and expanded its territory to many parts of three ancient continents: Europe, Asia and Africa, where it lived throughout Asia Minor and much of Southeast Europe, and North Africa. In the early fourteenth century, when the Osmanli Devleti was founded, this was only a small emirate within the confines of the Muslim world based on the idea of an invasion of Christians. This small border country, which did not seem important at that time, gradually developed, with the annexation and annexation of the Byzantine and Balkan regions. The Osmanli Devleti has lived for more than two centuries. In this instinct, the Osmanli Devleti extended almost two hundred and thirty-one years, including conquest and cultural work carried out by every authority. In this study, researchers wanted to find the basic rules of the Osmanli Devleti.*

Keyword: *the basic rules, Osmanli Devleti*

المقدمة

كانت أحوال الدولة الإسلامية (العالم الإسلامي) سيئة بعد سقوط الدولة العباسية. ثم قامت بعد ذلك ثلاث دول كبيرة، هي الدولة العثمانية، والدولة الصفوية في فارس، والدولة المغولية في الهند¹. فالدولة العثمانية كانت مركزها الأصلي "آسيا الصغرى" أو بلاد الأناضول (Anatolia) في أقصى الركن الشمالي الغربي من العالم الإسلامي، ثم امتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاث

إمام سويباكر أحمد، تاريخ الحضارة الإسلامية، (فونوروكو: جامعة دار السلام للطباعة والنشر)، ص. 105¹

أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمال أفريقيا.

في بداية القرن الرابع عشر، حين تأسست الدولة العثمانية، كانت هذه مجرد إمارة صغيرة داخل حدود العالم الإسلامي تعتمد على فكرة الغزو² ضد الكفار المسيحيين. وقد أخذت هذه الدولة الحدودية الصغيرة، التي بدت غير مهمة حينئذ في التوسع بشكل تدريجي، وذلك بإخضاع وضم الأراضي التابعة لبيزنطة في الأناضول والبلقان.

لقد عاشت الدولة العثمانية أكثر من ست قرون. ففي هذه الفترة امتدت عهد السلطنة العثمانية ما يقرب من مائتين وإحدى وثلاثين سنة بما فيه من الفتوحات والأعمال الحضارية يقوم بها كل سلطان. فتقدم الباحث في هذا البحث بحثاً عن التنظيمات الأساسية في عهد السلطنة العثمانية.

تاريخ قيام الدولة العثمانية

في عام 656 هـ / 1258 م، ولد أرطغرل ابنه عثمان الذي تنتسب إليه الدولة العثمانية، وهي السنة التي غزا فيها المغول بقيادة هولاكو بغداد عاصمة الخلافة العثمانية. خافت القبائل من ذلك الهجوم الوحشي، والذي يقتل دون حساب. وبدأت القبائل تهجر مواطنها، وتتجه نحو الغرب، وكانت من هذه القبائل قبيلة قاتي التركمانية والتي يرأسها سليمان شاه بن قيا ألب،³ وكان سليمان سلطاناً على "ماهان" وهي بلاد قرب بلخ في شمال فارس. فخرج سليمان من بلاد ماهان بـخمسين ألف مقاتل من التركمان الجراكسة إلى أرض الروم، ومر بديار حلب وغيرها،⁴ حتى وصلت إلى خلاط شمال بحيرة وان، واستقر هناك، وهدأت موجة المدّ المغولي، إذ عاد المغول إلى

يستخدم التعبير العثماني الشائع "غزو" الذي يرادف في الواقع تبير "الجهاد" أو جهاد باسم الإسلام.²

محمود شاكر، التاريخ الإسلامي، العهد العثماني، الطبعة الرابعة، (بيروت: المكتبة الإسلامية، 1421 هـ/ 2000 م) ص. 59³

إسماعيل أحمد ياغي، الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، (الرياض: مكتبة العبيكان، 1995)، ص. 11⁴

بلادهم. فرغب في الرجوع إلى موطنه الأول، واتخذ طريقا ثانية، إذ تابع إلى ديار بكر، واتجه نحو الرقة، وأراد عبور نهر الفرات فهوى فيه وغرق عام 628، فدفن هناك قرب قلعة جعبر، واختلف من بعده أبناؤه الأربعة في الطريق التي يجب أن يسلكوها، أما ابنه الكبير (سنقورتكن) فقد حقق رغبة أبيه، ورجع مع أخيه (كون طوغري) إلى موطنهم الأول، وكان (سنقورتكن) هو الذي تولّى إمرة القبيلة وزعامتها بعد موت أبيه. وأما أخواه الآخرون، وهما (أرطغرل) و(دندان) فقد عادا أدراجهما، واتجها نحو الشمال حيث وجدا طيبا في العيش، وجودة في المرعى، وكانت معهما أربعمئة أسرة تركمانية.

ففي تلك الأثناء لاحظ أرطغرل جيشين يقتتلان، فأسرع ودعم الجيش السلجوقي بعاطفة ضد الجيش البيزنطي، إضافة إلى أنه يعيش في أرضه، وأرسل إليه يطلب منزلا لمن معه، ويعرف رايته، وهتفات الجيش، ويلتقي معه بالأصل التركمان، أما أنه ساعد الجيش الذي بدت عليه علائم الهطيمة، أو الجيش الضعيف ليكون لمساعدته أثر واضح في النصر، إذ لا يمكن أن يقف بجانب البيزنطيين النصارى أبدا، فهم أعداؤه ولا يمكن أن يكافئوه، ويعطوه أرضا في بلادهم ثم يكون عدوا لهم، وإن فعلوا تقع الحرب بينه وبينهم بعد حين. وأحرز الأمير علاء الدين النصر بدعم صديقه الجديد أرطغرل فكفأه، وأقطعته أرضا على حدود بلاد الروم ليكون درءا له يصد به عن عمارته غارات البيزنطيين، وتوفي أرطغرل عام 687، وخلف ابنه عثمان. وإلى عثمان هذا تنسب الدولة، فهو مؤسسها، وأول حكامها.

فهذه القبائل كانت مسلمة بالأصل قبل أن ترحل من مكانها الأول، ولا صحة في أن عثمان مؤسس الدولة هو أول من اعتنق الإسلام، إذ معروف أن هذه القبيلة تركمانية، كلمة تركمان تطلق على الترك الذين يعتنقون الإسلام، فالقبيلة مسلمة من بداية ظهورها، واسم زعيمها سليمان دليل على ذلك.⁵

⁵ محمود شاكر، المرجع السابق، ص. 60

بلغت الدولة العثمانية ذروة مجدها وقوتها في عهد الخليفة سليمان القانوني، فامتدت أراضيها لتشمل أنحاء واسعة من قارات العالم القديم الثلاثة: أوروبا وآسيا وأفريقيا، حيث خضعت لها كامل آسيا الصغرى وأجزاء كبيرة من جنوب شرق أوروبا، وغربي آسيا، وشمالي أفريقيا. وصل عدد الولايات العثمانية إلى 29 ولاية. وبعد انتهاء عهده سالف الذكر، الذي يُعتبر عصر الدولة العثمانية الذهبي، أصيبت الدولة بالضعف والتفسخ وأخذت تفقد ممتلكاتها شيئا فشيئا، على الرغم من أنها عرفت فترات من الانتعاش والإصلاح إلا أنها لم تكن كافية لإعادتها إلى وضعها السابق.

عهد السلطنة العثمانية

امتدت سلطنة بني عثمان ما يقرب من مائتين وإحدى وثلاثين سنة، ومررت بمرحلتين تجاوزت كل مرحلة مائة سنة، وبينهما مدة من الخلاف بين أبناء السلطان بايزيد الأول تجاوزت أحد عشر عاما. وحكم في كل مرحلة أربعة سلاطين، انتهت أولهما بأيام بايزيد الأول، وانتهت الثانية بعهد بايزيد الثاني.

وإن كانت سلطنة عثمان الحقيقية أو التي حملت لقب سلطان قد بدأت عام 699 عندما زالت دولة سلاجقة الأناضول، وتفرّد بعدها، وأعلن نفسه سلطانا، أما قبل ذلك فقد كان أميرا عاديا.

وبين المرحلتين في هذا العهد خلاف بين أبناء السلطان بايزيد الأول الذي قُتل في معركة أنقرة عام 805، والتي دارت بينه وبين تيمرلنك، واستمرت مدة الخلافة أحد عشر عاما 805-816 حيث تفرّد السلطان محمد جلبي بالسلطان.⁶

السلاطين العثمانيون

1. عثمان بن أرطغرل بن سليمان 687 – 726/هـ 1287 – 1326 م
2. أورخان 726 – 761/هـ 1326 – 1360 م

نفس المرجع، ص. 94⁶

3. مراد الأول 761 – 791/هـ 1360 – 1388 م
4. بايزيد الأول 791 – 805/هـ 1388 – 1403 م
5. محمد جلبي 816 – 824/هـ 1413 – 1421 م
6. مراد الثاني 824 – 855/هـ 1421 – 1451 م
7. محمد الثاني "الفتاح" 855 – 886/هـ 1451 – 1481 م
8. بايزيد الثاني 886 – 918/هـ 1481 – 1512 م

أ. الفتوحات في عهد السلطنة العثمانية

في هذه الفترة كانت عمليات الغزو خلالها مقصورة على البلقان في أوروبا، وعلى الأناضول في آسيا. فكانت الدولة العثمانية في هذه المرحلة دولة تلقائية أناضولية، تضم رعايا مسلمية ورعايا مسيحيين. وشهدت هذه الفترة انتقال الدولة العثمانية مرحليا من مرتبة الإمارة إلى درجة الدولة إلى الامبراطورية، وانتقلت عاصمة الدولة خلال هذه الفترة أيضا بين الأناضول والبلقان من بروسة إلى أدرنة إلى القسطنطينية. وكان الاتجاه الأوروبي المبكر الذي هيا لهم أسباب القوة زيادة تعدادهم ومواردهم وساعدهم على توسيع رقعة إمارتهم والنهوض بها مرحليا إلى دولة إمبراطورية شاسعة الأرجاء امتدت مملكتها في أوروبا وآسيا وإفريقيا. ففي البلقان، كانت فتوحات العثمانية على حساب ما بقي من أملاك الدولة البيزنطية وعلى حساب دول الصقالبة والإمارات اللتينية. ففي الأناضول، كانت فتوحاتهم على حساب البقية الباقية من أملاك الدولة البيزنطية أيضا والإمارات التركية السلجوقية، وعلى حساب إمارتين مسيحييتين، إحداهما في الشمال هي طرابيزون، والأخرى في الجنوب، وهي كيليكيا.⁷

⁷إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 19 - 20

وأعظم الفتوحات يكفي بذكر فتح القسطنطينية والتقدم في أوروبا في عهد السلطان محمد الفاتح. لقد فتح العثمانيون القسطنطينية، وعجز المسلمون من قبلهم عن ذلك منذ أيام معاوية بن أبي سفيان، رضي الله عنهما، حتى تم الفتح على يد العثمانيين عام 857 أي أنه مضى أكثر من ثمانية قرون والمسلمون يعجزون عن هذا الفتح. ففي حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لتفتحنَّ القسطنطينية، ولنعم الأمير أميرها، ولنعم الجيش ذلك الجيش".⁸

التنظيمات الأساسية في عهد السلطنة العثمانية

1. نظام الحكم

كان الرئيس الأعلى للدولة العثمانية هو السلطان وهو القوة المؤثرة الأولى سياسياً وعسكرياً وقد عرف بلقب "خنكار" ويعني بالتركية السلطان الأعظم، كما عرف أحياناً بلقب "بادشاه الفارسي"، ويعني الحاكم الأعلى. وقد أطلق على بايزيد نفسه لقب السلطان، بعد موافقة الخليفة العباسي في القاهرة بصفة رسمية، وعندما فتح السلطان محمد الفاتح القسطنطينية اتخذ لنفسه لقب سلطان البرين والبحرين. وبعد فتح مصر تنازل الخليفة العباسي عن لقب الخليفة للسلطان سليم الأول، وكان للسلطان سلطة مطلقة على جميع موارد الدولة.⁹

ورغم أن السلطان العثماني لم يكن يحد من سلطته قانون مدني أو وجود طبقة أرستقراطية ذات امتيازات، فإنه لم يكن في الواقع حاكماً مطلقاً، إذ لم يكن باستطاعته أن يتجاهل حدود الشريعة الإسلامية بصورة علنية. فقد كانت المراسيم السلطانية أو القانون السلطاني تأتي في المرتبة الرابعة بعد المصادر الأساسية للقانون الإسلامي أي القرآن والسنة والمذاهب الأربعة. كما كان على السلطان أن يحصل على فتوى من شيخ الإسلام قبل اتخاذ أي إجراء سياسي هام

رواه أحمد في مسند (335/4) والحاكم في مستدرکه عن أبي عبيدة بشر الغنوي الخثعمي.⁸

محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية، ص. 304 في إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 78⁹

حول تمثي هذا الإجراء مع الشريعة. وإذا رفض المفتي ذلك الإجراء فإن السلطان غالبا ما كان يعدل عن مشروعاته.

وشيخ الإسلام هم العلماء "المشهورون" في آسيا الصغرى وبلاد العرب تستفتي منهم السلطة ما بين نشأة الدولة العثمانية وحتى النصف الأول من القرن الخامس عشر فيما يعترضها من مسائل شرعية. و"الشهرة" هنا تعبر عن مكانة علمية تم بلوغها من قبل العالم داخل مؤسسات العلم المنتشرة في الحواضر الإسلامية من جهة، ومكانة اجتماعية وسياسية تم اكتسابها عبر مسار طويل تتكون حلقاته من جملة الأدوار التي يضطلع بها العالم داخل أطر وهيئات المجتمع الأهلي على اختلاف تجسدها.¹⁰

أما السلطة التنفيذية، فقد رأسها السلطان أيضا، ولم يكن الوزير سوى مستشار له، ثم قوي مركزه فيما بعد حتى أصبح مطلق الصلاحية. وكان الصدر الأعظم (الوزير الأول) هو رئيس الديوان ويهيمن على شؤون الجيش، وكان يقود المعارك الحربية حين تدعو الضرورة وكان يرأس المحكمة العليا ويشترك معه قضاة الشريعة الإسلامية. وكان يقوم بجولات في العاصمة ويتفقد أسواقها ويرافقه في هذه الجولات قاضي القضاة.

وكان الوزراء يعتبرون أهم دعائم الدولة، وكان الصدر الأعظم أعلى مناصب الدولة (مدنية وعسكرية). وكان رجال القانون والعلماء يشغلون الدعامة الثانية وكان على رأس تنظيمهم قاضي العسكر في أوروبا والأناضول. وقد أشرف العلماء على الأوقاف وعلى التعليم الذي كان يتركز في المسجد وما يلحق به من مدارس، كما توالوا مناصب القضاء.¹¹

وهناك كثير من ملامح الحياة العثمانية كانت مستقلة في الواقع عن السلطة المركزية، ومنها الطوائف الدينية لغير المسلمين (الميلل) وطوائف الحرف والمؤسسات والهيئات، مما يدل على أن السلطان العثماني لم يكن يتمتع بالسلطة

¹⁰حسن الضيقة، الدولة العثمانية، الثقافة والمجتمع والسلطة، (بيروت: دار المنتخب العربي، 1997)، ص. 116-117

¹¹إسماعيل أحمد ياغي، نفس المرجع، ص. 82

المطلقة. فقد كان كل المدن تتمتع بمزايا وصلاحيات محلية واسعة في الشؤون المحلية والمالية والإصلاحات والبولس (الشرطة).

2. التنظيمات الاجتماعية

تنقسم الدولة العثمانية إلى طبقتين هما: الحكام والرعية، وتشمل الطبقة الأولى الإداريين والقوات المسلحة ورجال الدين، ولا دخل لها بالإنتاج ولا تدفع ضرائب، على حين أن المجموعة الثانية (الرعية) هي التي تقوم بالإنتاج وتدفع الضرائب. وكانت الدولة شديدة الاهتمام ببقاء كل فرد من طبقتهم، على اعتبار أن لك من المستلزمات الأساسية للنظام السياسي الاجتماعي وللانسجام. وكانت أكثر أنواع الأراضي انتشارا في الدولة العثمانية، هي الأراضي الأميرية (أراضي الدولة) وكان يوزع قسم منها على شكل إقطاعات بينما تجبي ضرائب القسم الآخر بواسطة ملتزمين وقد اختلف الإقطاعات حسب ما تدره من عوائد، وقسمت بالتالي إلى ثلاثة أنواع:

1. إقطاع صغير يسمى تيمار ولا يتجاوز دخله عشرين ألف أقبحة (أصغر وحدة نقد عثمانية) ويطلق على صاحبه تيمارجي.

2. إقطاع زعامت، ويتجاوز دخله عشرين ألف أقبحة، ويطلق على صاحبه زعيم.

3. إقطاع خاص، وهو أكبر الإقطاعات مساحة، ويتجاوز دخله مائة ألف أقبحة، وأعطى إلى أفراد الأسرة الحاكمة. وكان صاحب الإقطاع يتمتع به مدى الحياة، كما أن السلطان العثماني كان مالكا للأرض في أنحاء الدولة.

وقد طبقت الدولة العثمانية النظام الإقطاعي العسكري لمزاياه العديدة، فهو يضمن زراعة الأرض من جهة، ويضمن حصول الدولة في زمن الحرب على قوات من الفرسان دون تكاليف تذكر من جهة أخرى، لأن صاحب الإقطاع كان يذهب للحرب ومعه حصانه وسلاحه ولهذا طبق هذا النظام الإقطاعي على

سلاح الفرسان دون المشاة. وهذا النظام أيضا كان يخفف العبء على الخزينة، فلا تدفع الدولة زمن السلم مرتبات للسباهية. ونظام التمار لم يطبق في ولايات مصر وبغداد والبصرة والإحساء والحبشة التي تمكنت بفضل هذا أن تحافظ على نوع من الحكم الذاتي. فقد كان السلطان يكتفي بإرسال وحدات من الإنكشارية وحاكم ودفندار إلى كل وحدة من هذه الولايات.

فحوالي سنة 1470 م، حين أعاد محمد الفاتح النظر في كل الحيازات الزراعية في السلطنة، كرّس المبدأ القائل بإعادة كل الأوقاف التي لم تحصل على موافقة السلطان، أو التي لم تعد أبنيته أو أهدافها قائمة، إلى ملكية الدولة. ونتيجة ذلك عادت حينئذ أكثر من عشرين ألف قرية ومزرعة إلى ملكية الدولة. وفي الواقع لقد أراد محمد الفاتح من هذا الإصلاح أن يزيد من عدد الفرسان الذين يحصلون على تيمارات. ولكن في عهد السلطان بايزيد الثاني حدثت ردة فعل ضد هذه الإصلاحات. فقد ادّعى المعارضون أن هذه الإصلاحات تتعارض مع الشريعة، ولذلك فقد أعيدت معظم الملكيات الخاصة والأوقاف إلى أصحابها السابقين. إلا أن سليم الأول وسليمان الأول، اللذين كانا يحتاجان إلى مزيد من الفرسان لحملاتها العسكرية، أخذ مرة أخرى سياسة محمد الفاتح.¹² ومن الأيام الأولى، كان السلاطين العثمانيون يعيّنون ممثلين عن الدولة يتوليان إدارة أية منطقة: الأولى - البك من الطبقة العسكرية الذي يمثل السلطة التنفيذية للسلطان. والثاني القاضي من العلماء الذي يمثل السلطة الشرعية للسلطان. وكان البك لا يستطيع تنفيذ أي حكم قبل أن يأخذ موافقة القاضي، كما أن القاضي لا يستطيع أن ينفذ بنفسه أي حكم يتخذه في المحكمة. لقد كان القاضي يتخذ قراراته القانونية المدنية والشرعية بشكل مستقل عن البك، إذ أنه كان يأخذ أوامره مباشرة من السلطان، كما كان يمكن أن يتوجه

¹² خليل اينالجيك، المرجع السابق، ص. 173

إليه مباشرة بأية شكوى. وكان العثمانيون يعتبرون هذا التقاسم للسلطة في إدارة الولايات أمرا أساسيا للإدارة العادلة.¹³

وفي المناطق التي لم تخضع لنظام الإقطاع العسكري، طبقت الدولة نظام الالتزام. والالتزام في المصطلح الإداري والمالي العثماني، وهو التعهد من قبل فرد أو عدة أفراد من ذوي العصبية، بسداد المال الميري السنوي المقرر على القرية أو عدة قرى. بواقع سعر معين للفدان الواحد، يتحدد حسب جودة الأرض. ولذلك لم تكن الدولة تتعامل مع الفلاحين مباشرة، وإنما تطرح بتقديم الالتزام بطريقة المزايدة وكانت مدة الالتزام سنة واحدة. فيقوم بين الملتزمين والفلاحين نوع من التعاون.¹⁴

والدولة العثمانية كانت دولة دينية، لأن الأحكام في الدولة كانت تستند إلى الشريعة الإسلامية من جهة أخرى، ولأن رعايا الدولة كانوا يخضعون لنظام الملل العثماني من جهة ثالثة.

أما نظام الملل، فهو يقوم على التبعية الدينية للطوائف غير الإسلامية، وقد اعتمد العثمانيون التبعية الدينية كأساس للتقسيم الإداري. وكانت كل من الفئات الدينية تسمى ملة. وكانت أكبر الملل ملة الإسلام وملة الروم الأرثوذكس. واعتبر الأرمن واليهود في جملة الملل. وكانت جميع الملل غير الإسلامية مقسمة إلى طوائف دينية، لكل طائفة رئيس من أبناء الطائفة ويقوم بالفصل في قضايا الأحوال الشخصية لاتباع هذه الملة وفقا لقانونها دون تدخل من الدولة، وهكذا منح نظام الملل الرعايا غير المسلمين كيانا ذاتيا خاصا.¹⁵

خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحيار، ترجمة محمد م. الأرنؤوط، (بيروت: دار المدار الإسلامي، 2002) ص. 165

إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 1488

أحمد عبد الرحيم مصطفى، أصول التاريخ العثماني، ص. 130 – 131 في إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص. 1590

3. التنظيمات العسكرية

احتل الجيش مكانة بالغة الأهمية في حياة الدولة العثمانية، فهو أداة للحكم والحرب معاً، إذ كانت الحكومة العثمانية جيشاً قبل أي شيء آخر، وكان كبار موظفي الدولة هم في نفس الوقت قادة الجيش، ومن هنا جاء القول الشائع بأن الحكومة العثمانية والجيش العثماني وجهان لعمله واحدة.

وتقوم أسس الجيش العثماني على الجند السباهية (الفرسان) وهم من أقدم أنواع الجنود في الدولة، وكان عليهم المرابطة داخل حدود الصناجق أو الألوية، حيث تقع تماراتهم.

على أنه بتدهور الجنود السباهية الذين تمسكوا بالأرض أكثر من اهتمامهم بالحرب ولجؤوا إلى دفع مال البديل عوضاً عن الخدمة العسكرية، ازداد الاعتماد على الانكشارية وكانوا فرقة من المشاة المحترفين. أُسس هذا الجيش في عهد السلطان أورخان. والانكشارية هي كلمة عربية وقد حُرِّفَت عن الكلمة التركية عند ترجمتها وهي "يني تشاري" (yeni cery) وترسم بالتركية "يكيجيري"، فيأتي بالمعنى الكامل العسكر الجديد أي الجيش الجديد، وتأتي أيضاً بمعنى الجند الجديد. أي الجيش الجديد.¹⁶ وهم من أبناء الأسرى، والصغار الذين يقعون في الأسر، فيُربون في ثكنات عسكرية تربية إسلامية ويدبرون تدريباً عسكرياً، ويتخرجون لا يعرفون إلا القتال والحياة العسكرية والإسلام والجهاد في سبيل الله، ليس روابط قبلية أو عشائرية إذ لا يعرفون إلا السلطان سيدها لهم، لذا كانوا قوة كبيرة ساعدت العثمانيين في ضرب خصومهم، وامتداد الفتوحات العثمانية، وكان يمكن أن تبقى كذلك لو بقي السلاطين أقوياء لا يسمحون لهم بالتدخل في غير ما اختصوا به، ولا يسمحون للأمرء والوزراء بالاتصال بهم، وأخذ الدعم منهم، ولا أن يعطوهم أكثر من قدرهم فتتغير طباعهم، فما تدخل العسكريون في شؤون الحكم.¹⁷

¹⁶أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، دور الانكشارية في إضعاف الدولة العثمانية، (القاهرة: دار القاهرة، 2007)، ص. 22.

¹⁷محمود شاكر، المرجع السابق، ص. 64.

وقد ترأس هؤلاء في استانبول "أغا" (قائد) الانكشارية، الذي كان مسؤولاً عن تعيين أغا الحامية الانكشارية في مركز كل ولاية. وكانت هذه الحامية تقيم عادة في القلعة، ويعهد إليها بحراسة أسوار المدينة، وأبوابها، وفي بعض الأحيان الاشتراك في حملات الوالي المحلية أو حملات السلطان في الجبهات الرئيسية. وكان أغا الحامية العثمانية في مركز كل ولاية مستقلاً عن الوالي ومرتبطة باستانبول مباشرة.¹⁸ وهذه الهيئة هيئة عسكرية فريدة حُطيت من الدولة العثمانية باهتمام بالغ لم تحظ به أي هيئة حكومية أخرى.¹⁹

وإلى جانب السباهية والانكشارية وجد الجند الخاص أو المرتزقة، الذين استخدمهم حكام الولايات بصورة خاصة، وكانت نفقاتهم تدفع عادة من واردات الولاية، وقد ازداد اعتماد الولاة على الجند المرتزقة بازدياد الفوضى وانعدام النظام في صفوف السباهية والانكشارية وخصوصاً في القرن الثامن عشر.

وهكذا يتضح لنا أن مهمة الجيش الدفاع عن مصادر الثروة وتوسيع نطاقها وحماية الحاكم والدولة. وقد اهتم العثمانيون بالمدفعية منذ أيامه الأولى، وأنشأوا فرقة خاصة بالمدفعية (طوبجي) بلغ عددها ألف رجل في عهد بايزيد الثاني.

¹⁸91 إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص.

¹⁹21 أماني بنت جعفر بن صالح المغازي، المرجع السابق، ص.

المراجع العربية

إسماعيل أحمد ياغي. 1995. الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث. الرياض: مكتبة العبيكان.

إمام سوبياكر أحمد، تاريخ الحضارة الإسلامية، فونوروكو: جامعة دار السلام للطباعة والنشر.

أماني بنت جعفر بن صالح المغازي . 2007. دور الانكشارية في إضعاف الدولة العثمانية. القاهرة: دار القاهرة.

حسن الضيقة . 1997. الدولة العثمانية، الثقافة المجتمع والسلطة . بيروت: دار المنتخب العربي.

خليل اينالجيك . 2002. تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد م. الأرنؤوط. بيروت: دار المدار الإسلامي.

طه ندا . 1993. فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية . اسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

محمود شاكر . 1421 هـ / 2000 م . التاريخ الإسلامي، العهد العثماني . الطبعة الرابعة. بيروت: المكتب الإسلامي.

